يسري خميس

« كيف لي ؟ »

كيف لي أن اوفق : بين الخريف الذي يملأ القلب والعشب ينمو على جسدي ، والضحايا التي تتساقط فوق الجسور الى النهر كالزهر والسلطة المستبدة والقمر الداعر الضوء في السجن فوق نهود البغايا والموت بغتة ، والجسر الدائم الاشتياق المعذّب والرغبة الناقصة ، والملايين تسبح في الليل تحزن في الصمت يأكلها الوقت ، تنسج العمر ، عمر البقايا التي تسرق الخيط ، خيط الحرير القصب .

سرقوا الحلم . قلنا لنا الواقع الفجّ ثوبا مهلهل نرتقه اقنعة . سرقوا الحلم . قلنا دعونا نلملم هذا الشعير المبعثر نزرعه أرغفة وحليبا وتمرا وأخضر ـ دعونا ! ولكنهم منعونا .

لا ، لا الظلّ يسقط بينهما ، انما يسقط السيف والسوط والوقت والصمت والموت .

آه لو يعلم البحر حزني ، لهاجر من شاطئيه اليّ ليغمرني باليقين وبالماء والشمس (سئل الطفل : ما الذي يجعل البحر مالح ؟ قال : دمع المهاجر أبدا) ودمع الملايين في العالم المستقر القشور .. آه ، لو يعلم البحر حزني .

يعلم البحر حزني ويصمت ، ينساب ، يهرب ، يحجزه ألف شطّ وشط ، الزوارق تلمس سطح الماء وترمي على وجهها الزيت والضحكات القصيرة ، تعبر واهمة أنها تعرف البحر والبحر مغلق ، يوهم النفس ان الشطوط هنا تتسع ، تتحرك للخارج المقبل المفرح المرعب المتكرّر ، من بعيد تحملق مدهوشة الطيور التي في السماء وتضحك .

لا ، لا الهوى قادر ان يوضح لي بعض ما يلتبس . لا الخيال المشتت كالنهر في الرمل لا العلم لا النجم لا الحلم ، هذا الذي يدعي انه قادر ان يحرر يربطني من جديد ـ لا الخيوط التي تقطع الارض والكفّ طولا وعرضا ـ الاله الكبير نسانا . رمانا بصحراء ما يستحيل وما هو ممكن . بينها يسقط الجند ، يعبر بعضهم ويموت ، تاركا خوذته ، قطعة من حديد ونور ، شاهدا ان يستحيل ممكن : نحمل الجند قتلى وجرحى ويغمرنا الحزن والدم نمشي على جسد العالم المستقر القشور ونصرخ لم يكفنا ان نلامسه بالحذاء . التزاوج والعمق والنور والنار والماء . ليس التماس وليس التوازي. الدخول الخروج الدخول الدخول اختراق القشور التي تستقر على جسد العالم السمكيّ .

فرانكفورت